

حديث : إذا لم تستح فاصنع ما شئت

10:09:08 2005-12-04 | الشبكة الإسلامية



متن الحديث

عن **أبي مسعود** رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (**إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى : إذا لم تستح فاصنع ما شئت**) رواه البخاري .

الشرح

الحياء زينة النفس البشرية ، وتاج الأخلاق بلا منازع ، وهو البرهان الساطع على عفة صاحبه وطهارة روحه ، ولنن كان الحياء خلقاً نبيلاً يتباهى به المؤمنون ، فهو أيضاً شعبة من شعب الإيمان التي تقود صاحبها إلى الجنة ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (**الحياء من الإيمان ، والإيمان في الجنة**) رواه **أحمد** و**الترمذي** .

والحق أن الحياء رافد من روافد التقوى ؛ لأنه يلزم صاحبه فعل كل ما هو جميل ، ويصونه عن مقارفة كل قبيح ، ومبعث هذا الحياء هو استشعار العبد لمراقبة الله له ، ومطالعة الناس إليه ، فيحمله ذلك على استقباح أن يصدر منه أي عمل يعلم منه أنه مكروه لخالقه ومولاه ، ويبعته على تحمّل مشقة التكليف ؛ ومن أجل ذلك جاء اقتران الحياء بالإيمان في غير ما موضع من النصوص الشرعية ، في إشارة واضحة إلى عظم هذا الخلق وأهميته .

وقد عُرف النبي صلى الله عليه وسلم بهذا الخلق واشتهر عنه ، حتى قال عنه **أبو سعيد الخدري** رضي الله عنه ذلك : (**كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد حياء من العذراء في خدرها**) ، وهكذا نشأ الأنبياء جميعاً على هذه السجية ، فلا عجب إذا أن يصبح الحياء هو الوصية المتعارف عليها ، والبقية الباقية من كلام النبوة الأولى ، والتي يبلغها كل نبي لأمته . وللحياء صور متعددة ، فمنها : حياء الجنانية ، ومعناه : الحياء من مقارفة الذنب مهما كان صغيراً ، وذلك انطلاقاً من استشعار العبد لمخالفته لأمر محبوبه سبحانه وتعالى ، ومن هذا الباب اعتذار الأنبياء كلهم عن الشفاعة الكبرى حينما يتذكرون ما كان منهم من خطأ - وإن كان مغفوا عنه - ، وكان الإمام **أحمد بن حنبل** يكثر من قول :

إذا ما قال لي ربي أما استحييت تعصيني

وتخفي الذنب من خلقي وبالعصيان تأتينني

فما قولي له لمّا يعاتبني ويقصيني

وهناك نوع آخر من الحياء ، وهو الحياء الذي يتولد من معرفة العبد لجلال الرب ، وكمال صفاته ، ويكون هذا الحياء دافعاً له على مراقبة الله على الدوام ؛ لأن شعاره هو قول القائل : " لا تنظر إلى صغر الخطيئة ، ولكن انظر إلى عظم من عصيته " .

ويمكن أن يضاف نوع ثالث ، وهو حياء النساء ، ذلك الحياء الذي يوافق طبيعة المرأة التي خلقت عليها ، فيزيئها ويرفع من شأنها ، واستمع إلى أم المؤمنين **عائشة** رضي الله عنها إذ تقول : " كنت أدخل بيتي الذي دُفن فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي ، فأضع ثوبي - أي أطرحه - فأقول : إنما هو زوجي وأبي ، فلما دُفن **عمر** معهم فوالله ما دخلت إلا وأنا مشدودة عليّ ثيابي ؛ حياء من **عمر** " .

فإذا اكتمل الحياء في قلب العبد ، استحيا من الله عزوجل ومن الناس ، بل جرّه حيأوه إلى

الاستحياء من الملائكة الكرام ، ولهذا جاء في الحديث : **(من أكل البصل والثوم والكراث فلا يقربن مسجدا ، فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم)** رواه مسلم .

لقد جسّد النبي صلى الله عليه وسلم الحياء في سلوكيات عملية ، تدرب المرء على هذا الخلق النبيل ، فعن **عبد الله بن مسعود** قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **(استحيوا من الله حق الحياء)** ، قلنا : يا رسول الله إنا نستحيي والحمد لله ، قال : **(ليس ذاك ، ولكن الاستحياء من الله حق الحياء أن تحفظ الرأس وما وعى ، والبطن وما حوى ، ولتذكر الموت والبلى ، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا ، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء)** رواه الترمذي ، وهذا التصوير النبوي لخلق الحياء ، يدلنا ويرشدنا إلى أسباب وصول أمتنا لهذا المستوى من النذلّ والمهانة ، إننا لم نستح من الله حق الحياء ؛ فأصابنا ما أصابنا ، ولو كنا على المستوى المطلوب من خلق الحياء ، لقدنا العالم بأسره ، فالحياء ليس مجرد احمرار الوجه وتكيس الرأس ، بل هو معاملة صادقة ، وإخلاص تام في حق الخالق والمخلوق .

ولعل مما يحسن التنبيه إليه في هذا الباب أن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - بحجة الحياء من الناس - قصور في الفهم ، وخطأ في التصوّر ؛ لأن الحياء لا يأتي إلا بخير ، والنبي صلى الله عليه وسلم على شدة حيائه ، كان إذا كره شيئا عُرف ذلك في وجهه ، ولم يمنعه الحياء من بيان الحق ، وكثيرا ما كان يغضب غضبا شديدا إذا انتهكت محارم الله ، ولم يخرج ذلك عن وصف الحياء .

وبعد: فهذه جولة سريعة مع خلق الحياء ، عرفنا فيها معالمه وفضائله ، وصوره وجوانبه ، وجدّير بنا أن نحرص على هذا الخلق النبيل ، وأن نجعله شعارا لنا حتى نلقى ربنا الجليل .